جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - قسم التاريخ
أستاذ المادة: د/ سمير مزرعي السنة الثانية ليسانس

المحاضرة السابعة: مصادر تاريخ الجزائر المعاصر "الأرشيف"

1- تعريف الأرشيف:

الأرشيف هو كلمة يونانية الأصل تعني "Arché" أو "Archion" ومعناها السلطة، كما عرفت في اللاتينية بـ: "Archivum" ومعنها الورقة، وهناك من يرى بأن مصطلح الوثيقة يعني مستندا "Document"، والبعض الآخر يرى انها ترادف كلمة سجل "Record"، أما في أدبيات المؤرخين المعاصرين فالأرشيف هو الوثائق التاريخية والسجلات التي تحفظ لنا تفاصيل الأحداث التاريخية ومخلفات مجتمع حضارة أو دولة ما، وقد تختلف الوثائق الأرشيفية حسب اختلاف أنواعها وأبعادها والأغراض التي كتبت من أجلها، وحسب الهيئات والمؤسسات التي أنتجت تلك الوثائق: (سياسية، عسكرية، قضائية، اجتماعية، دينية، ثقافية،...)، وعادة ما ينقسم الأرشيف إلى نوعين: رسمي أو شبع رسمي مثل المراسلات السياسية والأوامر القضائية، والقرارات والمعاهدات والاتفاقيات، وقد نجد وقائق أرشيفية لدى كثير من الأشخاص والعائلات الفاعلة في الأحداث التاريخية المراد دراستها، وعموما الأرشيف هو مجمل الوثائق التي أنتجت من قبل الإدارة العثمانية في الجزائر خلال العصر الحديث، والهياكل الاستعمارية الفرنسية خلال الفترة المعاصرة.

2- أهمية الأرشيف:

إن تشكيل أي طرح تاريخي علمي اكاديمي لا بد له من الوثائق الأرشيفية فهي المصدر الأساسي لذلك، فهي تمكن الباحثين والمؤرخين من إحياء الحياة مما لا حياة فيه -أي الوثيقة-، ولا يمكن بأي حال من الأحول الاستغناء عنها، فهي المصدر الأساسي التي تبنى عليها المعرفة التاريخية، إذ أن الوثيقة تحمل بين سطورها حقائق عفوية يمكن بناء عليها إعادة نسج خيوط الحادثة التاريخية الأصلية، وعلى أساس ذلك يمكن أن نحكم على مدى أصالة أي بحث التاريخي وموضوعيته وأكاديمية طرحه من خلال اعتماده وتطعيم مادته المعرفية والعلمية المستقاة من الوثيقة كمّاً وكيفا، وبناء على ذلك نجد أن أبو القاسم يعد الله بأن الكتابة التاريخية الأكاديمية تخضع لمدى جرأة كل جيل عبر مختلف مراحل تاريخ الجزائر، و مستوى ثقافته ووعيه بالتاريخ، وامتلاكه الوثائق الأرشيفية ومحاولة تفسيرها وتحليلها تحليلا علميا؛ يتوافق مع قدراته ومؤهلاته العلمية، وطول نفسه في البحث والتنقيب؛ حسب المعطيات والمستجدات التي يعيشها ذلك الجيل بنظرات ورؤى تفاؤلية.

ويمكن أن نحدد مجالات الاستفادة من السجلات والوثائق الأرشيفية فيما يلي:

2-1 الإدارة العامة: يمكن للوثائق الأرشيفية أن تفيدنا في هذا الباب وتزودنا بمعلومات مهمة وقيمة عن وظائف ومهام كل إدارة حكومية.

2-2 التاريخ الديبلوماسي: تفيدنا الوثائق الأرشيفية المتمثلة في البرقيات والمراسلات والتعليمات الدبلوماسية المتعلقة بأنشطة الحكومة الخارجية، والإحصائيات التجارية المتعلقة بالشؤون الاقتصادية وغيرها.

2-3 التاريخ الاجتماعي: قد تفيدنا بعض الاحصائيات في دراسة المجتمعات وتوزيعها الديموغرافي على المدن والأرياف، وتسمح لنا بإجراء إحصائيات دقيقة لأعداد السكان، ورسم خريطة بشرية لتتبع هجرات واستقرار السكان وتحديد العواملة المتحكمة في ذلك.

2-4 التاريخ الاقتصادي: قد تزودنا بعض الوثائق التي يتم تجميعها من الإدارات الحكومية العاملة في مجال الصناعات والحرف والمهن الحرب، بمعلومات مهمة عن حجم المبادلات التجارية، بحيث تكشف لنا عن أرقام وإحصائيات عمليات التصدير والاستيراد، التي يمكن من خلالها إجراء مخططات ورسومات بيانية علمية، فللأرشيف دور مهم في بناء مخبر التاريخ.

3- مراكز الأرشيف:

من أهم مراكز الأرشيف التي يمكن للباحث أن يستفيد منها بالمادة العلمية الأولية في التأريخ لتاريخ الجزائر ما يلي:

1.3- المركز الوطني للأرشيف (الأرشيف الوطني الجزائري):

يضم هذا المركز وثائق مهمة، منها سجلات المحاكم الشرعية التي تتضمن عقودًا قضائية أعدها موثقو المحاكم المالكية والحنفية، وتشمل قضايا الأحوال الشخصية والمعاملات المختلفة. كما يحتوي على سجلات البايلك وبيت المال، بالإضافة إلى العرائض والمراسلات والفرمانات التي كانت تصدر بين الباب العالي وإيالة الجزائر، مثل قرارات تعيين أو عزل الباشوات، وتنظيم شؤون الإمدادات العسكرية والتسليح، وتجنيد المتطوعين من مختلف مناطق الدولة العثمانية، فضلًا عن الشكاوى والعرائض التي كانت تُرفع إلى السلطان باعتباره القاضي الأعلى للدولة.

2.3- المكتبة الوطنية الجزائرية:

تحتوي على مجموعة قيمة من الملفات المحفوظة في قسم المخطوطات، والتي تشمل المراسلات والتقارير المتنوعة، كما تضم المكتبة سجلات رواتب الإنكشارية، وهي دفاتر ضخمة توثق الشؤون العسكرية، حيث تسجل أسماء الجنود، ورتبهم، ورواتبهم، وأصولهم، وأماكن تمركزهم. إلى جانب مؤسسة الأرشيف الوطني الجزائري، هناك مديريات الأرشيف في كل ولاية، إضافة إلى متاحف المجاهد والمركز الوطني للسمعي البصري، التي تسهم جميعها في حفظ وتوثيق التاريخ الوطني.

3.3- أرشيف ما وراء البحار:

فيما يخص الأرشيفات الجزائرية المحفوظة خارج الجزائر فسنحاول أن نشير باختصار إلى أماكن تواجده في فرنسا، ويمكننا تصنيفها إلى قسمين رئيسيين:

- **الأرشيف العسكري:** ويتركز في أرشيف وزارة الحرب الفرنسية بقصر فانسان في باريس، ويشمل الوثائق المتعلقة بالثورات والمقاومات الجزائرية.
- **الأرشيف السياسي والاقتصادي والاجتماعي:** وهو محفوظ في مركز الأرشيف الوطني فيما وراء البحار بمدينة آكس-آن-بروفانس، والذي يضم وثائق تتعلق بتاريخ الجزائر خلال الفترة الاستعمارية وما سبقها.

وما يجب أن نعرفه حول مركز الأرشيف الوطني في آكس-آن-بروفانس؛ هو أنه قد تم تخصيصه لحفظ أرشيف المستعمرات الفرنسية، بما في ذلك وثائق الإدارة المركزية لوزارة المستعمرات السابقة. ويحتوي هذا المركز على مجموعة ضخمة من الوثائق الخاصة

بتاريخ الجزائر، والتي قامت فرنسا بنقلها بين عامي 1961 و1962، حيث يُقدر عددها بـ 200 ألف علبة، أي ما يعادل 600 طن من الوثائق الخاصة بالفترة الاستعمارية، بالإضافة إلى 500 صندوق متعلق بالفترة العثمانية.